المُعَلِّم

بقلم عبد الستار سلام

المدرس بمدرسة الأميرة فوزية الثانوية

راحت تزهدني في مهنتي ، وغدت ترغي وتزبد في لومي وتانيبي
تقول : يا ويلتا مما تكابده وما تقاسيه من سُهد وتعذيب !
كأن عبئك طود ما نهضت به إلا قعدت لإدلاج وتأويب
ولو خلقت حديدا ما احتملت كما قد حملوك ، ولم تنهض بمطلوب
فيا لهول الذي تلقاه من كَبَدٍ ويا لجهد عنيف منك مسلوب !

* * *

تقضي نهارك في كدّ وفي نصب وفحمة الليل في بحث وتنقيب
وتقطع العمر في بذل وتضحية ما بين درس وشرح ثم تعقيب
تملي وتكتب لا كلا ولا وكلا ولا ضنيناً بإرشاد وتصويب
بل تنثر العلم آيات منظمة شيئا فشيئا وتدريبا بتدريب
فما سئمت حوارا طال أو جدلا ولا عييت بمقروء ومكتوب

* * *

كأنما أنت مثل النحلة انبعثت تجني جنى الزهر في جدّ وتطريب
قد شاقها نُزُل هبّت تنسقه تنسيق ذي خبرة للفن منسوب
لو رحت تنعم فيما نسقت نظرا لقلت : أعجوبة بين الأعاجيب
فهل رأيت مشيجا فضة ذهبا أو قد بهتّ لنظم أو لتثقيب ؟
در نضيد وفيه الشهد منسكب فهل عجبت لمنضود ومسكوب ؟
تبارك الله ! بالإلهام علمها ما يجهل الناس من مرْدٍ ومن شيب

* * *

تبنى العقول كما تبنى النفوس على غُر الخلال بإحكام وترتيب
تصوغها كاللآلى فى تألقها وكالرياحين فى نشر وفى طيب
وبالمعارف تغذوها وتنهلها إنهال روض بأفواق الشآبيب
حتى ترى العلم قد جلّى غياهبها والعلم كالصبح يجلو كل غريب
فإن تأبّت وولت منك جامحة طفقت تعمل أشتات التجاريب
ولا تزال بها حتى تروّضها كما تروّض هوجاء اليعابيب
بالرفق واللين ، لا بالعنف ، إنهما أجدى على الطفل فى زجر وتأديب
سياسة الملك قرت فوق عرشهما ولا تقر على بطش وترهيب

* * *

وكم تشاهد من طيش ومن نزق ومن مناظرَ أدنى للأعاجيب
يحوكها نفر بالدرس قد برموا فأصبحوا عطلا مثل اليعاسيب
إن قمت تسألهم : مابالهم شغلوا بدمية أو بعود أو بأنبوب ؟
جاءوا إليك بأعذار منمقة أو هى وأضعف من نسج العناكيب
وهم لعمرك ما راموا ولا قصدوا إلا المزاح وإضحاك الأصاحيب

* * *

تقوم تخطب لا قس بن ساعدة وافى عكاظ خطيبا فى الأعاريب
ولا زياد وقد رجّت مواعظه أرض العراقين من هول وترعيب
بل أنت أبعد شأوا منهما ، ولقد أدركت شأوك فى نصح وترغيب
ما ضقت بالصفح بعد العذر ، إنهمُ قد عاهدوا الله عهدا غير مكذوب

* * *

من كالمعلم فى جهد ومصطبر وفى اضطلاع بتثقيف وتهذيب ؟
الله هيأه للنشء ينبته على الفضيلة فى أبهى الجلابيب
أمانة حمّلتها قبله رسل ما آذنت شمسهم يوما بتغريب

كانوا الهداةَ، وكانوا المرشدين، كما ... كانوا أولى العزم فى طب وتطبيب
وفى الشمائل كانوا الزهر مبتسما ... وفى المكارم كانوا كالأهاضيب
بثوا العلوم فكانت للنهى قبسا ... جلا الظلام وجلّى كل محجوب
فكل ما قد ترى فى الكون من عجب ... أساسُه العلم فى سمك وتطنيب

* * *

قام المعلم يحذو حذوهم، ومضى ... موفّق الخطو فى لأى وتقريب
يقود ناشئة للمجد طامحة ... إلى طريق العلا من غير تنكيب
وهم غداةَ غدٍ للنيل عدتهُ ... وهم أولو أمره من غير تثريب
فكم ترى بينهم من نابهٍ بطل ... عالى الجناب، مطاع الأمر مرهوب
يحمى الحمى ويذود الشر عنه، كما ... يُجرى الأمور برأى منه مشبوب
ولو تولى مقاليد القضاء لما ... أبصرتَ غير فتى للعدل موهوب

* * *

فاين أين المربّى بعد طول مدى ... وبعد ما شاب فى صقل وتشذيب؟
وبعد أن صاغ أقطاب الرجال، ولم ... ينعم بجاه، ولم يهنأ بمكسوب
قد قلّب الله أحوال العباد على ... شتى الوجوه، ولم يشعر بتقليب
لقد نسوه فما مدّوا له سببا ... من الرجاء لمأمول ومرغوب
كأنه همزة فى البدء قد ذكرت ... لكنها حذفت بين التراكيب!

عبد الستار سلام